في بيروت والضواحي حتى وصل القصف الى مقر الاخ ابو عمار مما جعل وكالة الانباء الفلسطينية (وفا) في ٦/٢٧ تنبه « الى خطورة اساءة فهم هذا البيان ، لان اساءة فهمه قد تدفع نحو فواجع أضخم وأعم ، لبنان بغنى عنها والفلسطينيون بغنى عنها » . وحذرت الوكالة من « ان المقاومة الفلسطينية بكافة فصائلها والتي تقف صفا واحدا متراصا وقويا ، تؤكد انها وهي تأخذ موقع الجسر الصلب والحقيقي للتفاهم والمودة والاخاء ، لا يمكن ان تسمح لكائن من كان ان يدفع بأدوات دماره وتخريبه عبر هذا الجسر ، فلحمة هذا الجسر أجسادنا وأجساد جماهيرنا وأجساد كل المخلصين في هذا البلد وفي الامة العربية » . ولم يكن هذا التحذير بمعزل عن ممارسته عملا فالثورة ملزمة بالدفاع عن وجودها كما هي ملزمة في الوقت نفسه بالرد على حملات التصفية التي كانت تتعرض لها الجماهير الوطنية الحليف الطبيعي للثورة والدرع التي تقي ظهرها من الطعنات الغائلة .

وعلى الرغم من الخراب الكبير الذي لحق بساحات القتال ومئات القتلى وآلاف الجرحى والمشوهين فان الكتائب استطاعت ان تحقق نجاحا ما في استحثاث الغرائز الطائفية واستغلالها لمصلحتها مع ما يثلم هذا النجاح من بروز اتجاهات جديدة في الطائفة نفسها التي تنتمي اليها الكتائب، ترفض منطلقات الكتائب الطائفية ـ الانعزالية ويمكن المراهنة على اتساع نفوذها وعلى ان تكون المعادل المستقبلي لهذه الطائفية ـ الانعزالية، نقول ان الكتائب ان استطاعت ان تحقق هذا النجاح المثلوم في هذا الصدد فقد خانتها حساباتها في الميادين الاخرى : فمن جهة واحدة أظهر مجرى الاحداث قدرة الحركة الوطنية التقدمية اللبنانية على الالتصاق بالشارع الوطني وضبط عفويته من أجل الدفاع عن المواقع التي تحتلها هذه الحركة ، كما أظهر ان الطاقات النضالية المختزنة لدى الجماهير الوطنية العريضة قابلة للتفجر عندما تتعرض للتحدي ، بقدرات اجتياحية تفوق مردوداتها الوطنية ما كان منتظرا منها . واذا كانت الزعامات التقليدية قد استثمرت هذه الحقيقة ووظفتها لمصلحتها بعد ان كثفت الازمة الى حجم تشكيل الحكومة ، فان المواجهة الاخيرة تحمل بذور ارادة التغيير الجذرية لانها فتحت أعين الجماهير على الاسباب الاجتماعية ـ السياسية الحقيقية للازمة ، كما ان هذه الجماهير خرجت أكثر تمرسا بأساليب النضال وأكثر ثقة بقدراتها الذاتية .

ومن جهة ثانية ، فان الكتائب ان كانت قد وضعت النموذج الاردني نصب عينيها في تصديها لحركة المقاومة فان معطيات الساحة اللبنانية تجعل هذا النموذج مثالا سيئا للتقليد في هذه الساحة المختلفة في تناقضاتها وتوازناتها عن تلك الموجودة في شرق الاردن . وهذه المعطيات هي التي مكنت حركة المقاومة ، بالاضافة الى قدراتها الذاتية ، من الصمود في وجه الزوابع التي أثيرت في وجهها مرات متكاثرة في لبنان والتي لم تستطع ان تبتز منها أي تنازل مبدئي . وكانت المواجهة الاخيرة تجسيدا حيا لهذا الواقع .

من جهة ثالثة ، استهدفت الكتائب من فتح المعركة الاخيرة ، كما جرت الاشارة ، ان تجعل منها أداة ضغط تجبر الاطراف الاخرى على قبولها شريكا في الحكم تحت شعار « حكومة الاتحاد الوطني ». وكانت الكتائب كما ظهر من مجرى « العمليات الحربية » العمياء التي نفذتها في بيروت والضواحي على استعداد لعمل كل شيء بما في ذلك حرق « لبنان الاخضر » لاشباع شهيتها في الحكم باعتبار ان الحكم في لبنان بما يؤديه من خدمات مصلحية هو الوسيلة الاكثر جدوى لتحقيق المطامع الفئوية . بيد انه ظهر من ضراوة الاقتتال ان ثمة « توازن رعب » رضخت الكتائب من جرائه لتسوية تمثلت في ان يمثلها في الحكم حليفها كميل شمعون، رئيس حزب الوطنيين الاحرار . وعلى الرغم من ان هذه التسوية استبعدت ، بالاضافة الى الكتائب ، الحزب التقدمي الاشتراكي برئاسة الاستاذ كمال جنبلاط ، الا ان الجانب الايجابي فيها انها مكنت الحركة الوطنية التقدمية اللبنانية من اكتشاف قدراتها وتأثيراتها في صنع القرار ليس على صعيد الشارع الوطني فحسب وانما داخل مؤسسة الحكم نفسها .

وقد كان خاتمة هذه المرحلة الاعلان عن تشكيل الحكومة (أعلنت أسماء الوزراء الستة بمن فيهم رئيس الحكومة في ٦/٣٠ ووزعت الحقائب في ٧/١) بهدف وضع حد للاشتباكات . وقد كان لمساعي السيد عبد الحليم خدام ، نائب رئيس الوزراء